نموذج التخطيط الجديد: طرح المفهوم، ومنظومة المنهج، ومسارات الممارسة

،وو تشي تشيانغ، شين تشينغ جي، وانغ يا جوان، هوانغ جيان تشونغ، شياو جيان لي، يان جوان، بينغ تشن وي، بان تشي شينغ يانغ تينغ، فينغ شياو شياو، وي رو هانغ، وو تاو

الملخص

في ظل تداخل أزمة المناخ، والثورة الرقمية الذكية التي تقودها تقنيات الذكاء الاصطناعي، وتحول البنى الاجتماعية، وتحوّل المخاطر العالمية إلى حالة شبه دائمة، يواجه نموذج التخطيط الحداثي التقليدي، القائم على محور "التنبؤ - التقسيم الوظيفي - الضبط"، اختلالا نسقيا عميقا. فهذا النموذج يختزل الحياة الحضرية في مظاهر مادية ومكانية، ويضعف فاعلية الإنسان وعلاقاته الاجتماعية، ويفصل المدينة عن النظام البيئي، ويتجاهل القوى الداخلية المحركة وآليات توزيع الحقوق والمسؤوليات، ويفتقر إلى دعم كمي وذكي واسع النطاق قائم على بيانات دقيقة الحبيبات، كما يغلب عليه الاهتمام بالبناء أكثر من التشغيل والصيانة. ونتيجة لذلك يصعب عليه ضمان الصحة والازدهار الدائمين للمدن. استجابة لهذه "أزمة النموذج"، تطرح هذه الدراسة مفهوم "التخطيط الجديد" وتشرحه بصورة منهجية. ينظر هذا المفهوم إلى الفضاء الإقليمي والحضري بوصفه نظاما مركبا شديد الترابط يجمع بين المجتمع والبيئة والتكنولوجيا، ويتخذ القيمة التعاونية المتعددة مرساة له، والعملية التكيفية منطقا أساسيا، وذكاء البيانات والحوكمة المشتركة المتعددة الفاعلين دعائم رئيسية. كما يبني آلية حوكمة مغلقة الحلقة قوامها "الإدراك - التحليل - الاستجابة - التعلم"، ويدفع التخطيط من المخطط الثابت إلى التوجيه الدينامي، ومن الرسوم التقنية إلى بروتوكولات العمل وصناديق الأدوات المؤسسية، ومن الإعداد لمرة واحدة إلى التشغيل المستمر والتعلم المؤسسي. وتوضح الدراسة كذلك الحدود المفهومية والمنظومة المنهجية ومسارات الممارسة للتخطيط الجديد، بما يوفر منهجية نموذجية للتخطيط المكاني الإقليمي، والتخطيط التفصيلي، والتجديد الحضري.

الكلمات المفتاحية

التخطيط الجديد؛ نموذج التخطيط؛ ذكاء البيانات؛ التكيف؛ النظم المعقدة

1 التخطيط عند مفترق العصر

منذ نشأة تخصص التخطيط الحضري في الصين وهو يواصل البحث عن اتجاهات جديدة للتطور. وكانت القفزات النظرية والتحولات النموذجية الكبرى غالبا استجابة عميقة لتغيرات النظام الكلي للدولة [1-7]. فمن الابتكارات المؤسسية والمنهجية التي أفرزتها إصلاحات السوق في أواخر ثمانينيات القرن العشرين، إلى اتساع عمق تكوين الكفاءات بعد اعتماد التخطيط الحضري والريفي تخصصا من الدرجة الأولى عام 2011، ثم إلى إعادة البناء المؤسسي المرتبطة بإقامة نظام التخطيط المكاني الوطني منذ عام 2018، انتقل منطق التخصص من التوسع إلى قيود الخطوط الدنيا، وانتقل مركز العمل من التخطيط للإضافات الجديدة إلى التخطيط للمخزون القائم. واليوم، في مواجهة التحولات الهائلة وعدم اليقين في البيئة الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية عالميا، وفي مرحلة تاريخية جديدة من التحديث الصيني، أصبح التخطيط بحاجة ملحة أكثر من أي وقت مضى إلى مراجعة عميقة ومواجهة مباشرة لأزمة النموذج.

يمر التخطيط الحضري حاليا بمرحلة تحول نموذجي عميق. فعلى الصعيد العالمي، باتت الأزمات المركبة وارتفاع عدم اليقين حالة اعتيادية، وأصبحت موجات التكنولوجيا، ولا سيما الذكاء الاصطناعي، تعيد تشكيل الإنتاج الاجتماعي والحياة اليومية بسرعة وبقوة تعطيلية متكررة، بينما يكشف ضعف الاستجابة لتغير المناخ حدود أدوات الحوكمة المكانية التقليدية. تحت ضغط هذه التحديات العالمية المتراكبة، أظهر نموذج التخطيط الحداثي القائم على التنبؤ والتقسيم والضبط اختلالا نسقيا شديدا [8]. ولا يقتصر هذا الاختلال على جمود التحكم المكاني، بل يرجع بصورة أعمق إلى نقص التكامل بين علوم الإدراك وعلوم البيانات وعلوم النظم في تعليم التخطيط عالميا [9].

عند هذا المنعطف التاريخي، يحتاج مجتمع التخطيط الصيني إلى تحمل رسالة استراتيجية جديدة ضمن النظام العالمي: أداء الرسالة التعليمية عبر بناء نموذج دولي لتكوين الكفاءات الجديدة، وإعادة تشكيل الخطاب الأكاديمي العالمي عبر استخلاص النظرية من الممارسة المحلية [10]، وتقديم نموذج نظري يمكن الرجوع إليه في التحول العالمي للتحضر السريع من الكم إلى النوع [11]. ومن ثم فإن طرح "التخطيط الجديد" لا يمثل تحديثا داخليا للتخصص فحسب، بل هو خيار لا بد منه لمواجهة التعقيد وإعادة بناء حيوية المدينة.

تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن ثلاثة أسئلة: لماذا أصبح نموذج التخطيط التقليدي عاجزا نسقيا وبنيويا في العصر الراهن؟ ما الدلالات الجوهرية والحدود النظرية لمفهوم التخطيط الجديد؟ وكيف يمكن للتخطيط الجديد أن يصوغ مسارات ممارسة قابلة للتشغيل في التخطيط المكاني الوطني، والتخطيط التفصيلي، والتجديد الحضري؟

1.1 عيوب نموذج التخطيط الحضري التقليدي

إذا فُهم التخطيط الجديد بوصفه قفزة نموذجية، فإن فشل النموذج التقليدي له أسباب خارجية وداخلية معا. فالتغير في الشروط الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية هو المقدمة الخارجية، أما القصور الذاتي الكامن في تخصص التخطيط الحضري والريفي التقليدي فهو السبب الجوهري لعجزه البنيوي المعاصر.

(1) يختزل ظواهر الحياة الحضرية المعقدة في حوامل مادية ومكانية. فهو يركز على الفضاء المادي الملموس بصورة أحادية، ويتجاهل عمليات الحياة الحية في المدينة مثل التفاعل بين الناس واستمرار الثقافة، مما يجعل التخطيط منفصلا عن منطق التشغيل الحقيقي للمدينة.

(2) يتعامل مع الفاعل الحضري، أي الناس، بوصفه "شرطا خلفيا" للتخطيط. إنه يضعف اجتماعية المدينة، ويجعل حاجات الناس في مرتبة ثانوية، ولا يأخذ بما يكفي علاقات الجماعات والمشاركة العامة وغيرها من السمات الاجتماعية، مما يؤدي بسهولة إلى انفصال التخطيط عن الحاجات الفعلية للسكان.

(3) يتجاهل الدور الحاسم للاستدامة البيئية النسقية في استدامة الحياة الحضرية. فعملية بناء المدينة ليست سوى جزء من النظام البيئي الذي يعتمد عليه الإنسان. وعندما يفصل التخطيط المدينة عن الطبيعة ولا يجعل القدرة البيئية الحاملة مقدمة للتخطيط، فإنه يعجز عن ضمان حيوية المدينة على المدى الطويل.

(4) يفتقر إلى بحث نسقي وآليات تخصيص للقوى الداخلية المحركة لعمليات الحياة الحضرية. فالدراسة غير كافية لمحركات التنمية الداخلية مثل الارتقاء الصناعي، وحركة السكان، وتتابع الابتكار، لذلك يصعب تخصيص الموارد بطريقة تنشط حيوية التنمية الحضرية.

(5) يفتقر إلى ترتيبات منهجية للحقوق والمسؤوليات في عملية التخطيط العملي. لم تتشكل بعد بنية واضحة لتقسيم الصلاحيات والمسؤوليات والرقابة، مما يجعل تنفيذ التخطيط عرضة لغموض المسؤولية والتدافع المؤسسي، ويؤثر في نتائج التنفيذ.

(6) يفتقر إلى أساس تخصصي نسقي لفهم قوانين تطور المدينة ذاتها. فلم تتكون بعد منظومة معرفية تغطي جميع أبعاد التنمية الحضرية، الأمر الذي يجعل التخطيط يفتقر إلى سند نظري متين ويحد من قدرته على إدراك القوانين الأساسية لتطور المدينة.

(7) يفتقر إلى القدرة على الحساب واسع النطاق والمساندة الذكية القائمة على بيانات دقيقة الحبيبات من أجل التخطيط الكمي الدقيق. فبسبب القيود التقنية، يصعب إجراء تحليل كمي دقيق وحساب واسع النطاق للبيانات التفصيلية التي يحتاج إليها التخطيط، كما يصعب توظيف التقنية الذكية لرفع علمية التخطيط وكفاءته.

(8) يفتقر إلى القدرة على صيانة الصحة العمرية الطويلة للمرافق الحضرية بعد إنشائها. إذ يغلب الاهتمام بالبناء على التشغيل والصيانة، ولم تتشكل آليات تشغيل طويلة الأجل، مما يجعل من الصعب ضمان التشغيل المستقر للمرافق الحضرية ودعم صحة المدينة وازدهارها بصورة مستمرة.

1.2 العجز النسقي والبنيوي لنموذج التخطيط التقليدي في الحاضر

1.2.1 التحولات التاريخية في البيئة الاجتماعية والاقتصادية الخارجية

(1) الثورة التقنية والتحول الرقمي: تعيد تقنيات مثل الذكاء الاصطناعي والبيانات الضخمة وإنترنت الأشياء تعريف الفضاء والوظيفة والحوكمة، لكنها تطرح في الوقت نفسه تحديات أمن البيانات والفجوة الرقمية وأخلاقيات الخوارزميات.

(2) أزمة المناخ والبيئة: تتطلب قيود الحياد الكربوني، وتكرار الظواهر المناخية المتطرفة، وإعادة تدوير الموارد، انتقال المدن من التكيف عبر التوسع إلى التكيف عبر المرونة.

(3) إعادة هيكلة المجتمع والاقتصاد: يدفع الشيخوخة، وانخفاض المواليد، وتصغر الأسر، والتحول من التوسع الإضافي إلى تجديد المخزون القائم، إلى إعادة تشكيل توزيع الخدمات العامة ومنطق التشغيل.

(4) إعادة تشكيل نمط العولمة: تتطلب إعادة ترتيب سلاسل الصناعة والمخاطر الجيوسياسية الموازنة بين الكفاءة والأمان، وتعيد تحديد مواقع المدن ضمن الشبكات الحضرية.

(5) تحول القيم وأنماط الحياة: اتسع طلب الحياة الأفضل ليشمل الثقافة والتجربة والبعد الروحي، كما يتطلب تنامي الوعي بالمشاركة تشاورا شفافا طوال العملية.

1.2.2 القصور الذاتي داخل تخصص التخطيط التقليدي

لا ينبع القصور الذاتي الجوهري للتخطيط الحضري التقليدي من كسل المخططين كأفراد، بل هو نتيجة نسقية لمؤسسات ومعارف متصلبة. ويمكن تلخيص هذا القصور في الجوانب الآتية، وهي تفسر جوهر عجز التخطيط الحضري والريفي التقليدي في العصر الراهن.

(1) قصور معرفي: سوء فهم ماهية المدينة. تُعامَل المدينة كموضوع مكاني يمكن تصميمه مرة واحدة، لا كنظام حي عضوي في تطور مستمر [12]. ويتجلى ذلك في فهم التخطيط الحضري بوصفه "بنية استعمالات الأرض + تقسيم الوظائف + توزيع المؤشرات"، مع إغفال الفاعل الإنساني والرغبات والسلوك وشبكات العلاقات الاجتماعية والمؤسسات والسلطة ورأس المال والثقافة. كما تُهمل لايقينية عملية نمو الحياة الحضرية، وطفراتها، وقوانينها غير الخطية. يبقى منطق التخطيط عند سطح الفضاء؛ فيستطيع وصف ظواهر الحياة الحضرية ولا يستطيع تفسيرها أو ضبطها. وهكذا تُقرأ مشكلات التنمية الحضرية والريفية الجديدة والتحولات التاريخية في المجتمع والاقتصاد والبيئة والتكنولوجيا بمفاهيم قديمة، فتتآكل القدرة الابتكارية للتخصص.

(2) قصور منهجي: اعتماد خاطئ على جوهر التخطيط. إن الاتكال على التخطيط القائم على المخطط النهائي ليس مجرد خطأ معرفي، بل هو أيضا قصور منهجي. فاعتبار "الرسم + جدول المؤشرات" كامل منهج التخطيط يساوي بين التخطيط ومخرجات التسليم بدلا من العمليات والآليات. ولا تصلح مؤشرات توازن استعمالات الأرض، ونسبة المساحة الطابقية، وحجم السكان، ونسب الوظائف بطبيعتها للسيناريوهات، والتغذية الراجعة الدينامية، والتجريب، والتقييم، وتعديل الخوارزميات ونتائج المحاكاة. وعند مواجهة مشكلة معقدة، يكون الرد غالبا "إضافة رسم آخر" أو "إضافة مؤشر آخر". لذلك تُضغط الأدوات الجديدة، مثل الذكاء الاصطناعي والبيانات والنماذج، في وظيفة مساعدة للرسم فقط. وإذا ظل النموذج نفسه قائما، فلن تستخدم الأدوات إلا بصورة مختزلة [13].

(3) قصور إنتاج المعرفة: تفضيل نظام التقييم للبحوث "الآمنة". تكافئ معايير تقييم التخطيط البحوث المعيارية القابلة للتكرار، وتعاقب الاستكشافات العابرة للتخصصات والمحفوفة بعدم اليقين. وتظهر في الممارسة نزعة إلى تفضيل النماذج المستقرة والأنماط الناضجة، مع إحجام عن ابتكار جوهري في منظومة المعرفة، بل حتى عن تعديلات صغيرة تحمل قدرا من المخاطرة. وينتج التخطيط الحضري التقليدي معرفة قريبة من "التزاوج الداخلي"، عاجزة عن دمج المعارف الجديدة الكثيرة في الهندسة والعلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية بصورة نظامية.

(4) قصور خطابي: ضعف لغة التخصص أمام القضايا الجديدة. بلا مفردات لا توجد مشكلة، وبلا تسمية لا يمكن النقاش. ظل الخطاب السائد في التخصص يدور حول البنية المكانية، والتوزيع الوظيفي، ومراتب المدن، وضبط الحجم، ويفتقر إلى لغة ناضجة لقضايا مثل الوجدان الحضري، والشبكات الاجتماعية، وحوكمة المنصات، وسلطة الخوارزميات، وعدالة البيانات. وهكذا تُخفض القضايا الجديدة إلى "تحليل تكميلي"، أو تُدفع إلى خانة "عوامل أخرى"، أو تُترك في "آفاق وتوصيات". إن نظام اللغة نفسه يرشح الابتكار ويقصيه.

(5) قصور مؤسسي: الانغلاق الذاتي لنظام التخطيط القانوني. تتغلب المشروعية الإجرائية على الفاعلية. فنجاح التخطيط أو فشله يحدد غالبا من خلال اجتياز الموافقة، والالتزام بالمعايير، واكتمال الإجراءات. أما آثار التنفيذ، والتغذية الاجتماعية الراجعة، والأداء التشغيلي الطويل الأجل فلا توجد بشأنها مساءلة مؤسسية كافية. لذلك يصبح الخيار العقلاني للمخطط هو تجنب الخطأ لا حل المشكلة. فالابتكار يعني مخاطر غير واضحة، ومسؤولية غير محددة، وكلفة امتثال عالية، وبنية الحوافز المؤسسية تعاقب الابتكار بطبيعتها.

إن قصور التخطيط الحضري والريفي التقليدي لا يعني أنه لا يريد الابتكار، بل إن طرق الإدراك، والأدوات المنهجية، وإنتاج المعرفة، ونظام الخطاب، والبنية المؤسسية التي يعتمد عليها صممت لعصر مستقر. وعندما نواجه عصرا غير مستقر، عالي اللايقين، شديد الترابط، وكثير المخاطر، يصبح طرح التخطيط الجديد أمرا لا مفر منه. ومن هنا فإن إعادة بناء النموذج تحمل معنى تاريخيا جوهريا.

2 طرح المفهوم: ما "التخطيط الجديد"؟

2.1 مفهوم "التخطيط الجديد"

ينبع طرح مفهوم التخطيط الجديد من إدراك عميق للتحولات الحادة في البيئة الاقتصادية والاجتماعية الخارجية، ومن مراجعة مؤلمة لمحافظة نموذج التخطيط التقليدي. والتخطيط الجديد هو إطار عمل حضري مستقبلي يتمحور حول رفاه الإنسان والاستدامة البيئية، ويهدف إلى تحقيق التعايش المتناغم بين بيئة السكن البشري والنظام البيئي الطبيعي عبر تخطيط عام استشرافي ونسقي، سعيا إلى أهداف حيوية مثل الابتكار، وقابلية العيش، والجمال، والمرونة، والتحضر، والذكاء، والحيوية، والإنصاف.

لهذا المفهوم حدود واضحة. فهو ليس "تخطيطا تقنيا" ولا "حوكمة عامة بلا حدود". وليس معناه أن "يحل الذكاء الاصطناعي محل المخطط" [14]، بل أن يعزز ذكاء البيانات العقلانية مع الحفاظ على حكم الإنسان القيمي ومسؤوليته [15]. كما لا يتجاوز التخطيط

القانوني، بل يدفعه من مخطط جامد واحد إلى نظام مؤسسي يتكون من "خطوط دنيا - قواعد - أفعال - تقييم". وليس شعارا فضفاضا للحوكمة، بل يترجم أهداف الحوكمة إلى مؤشرات قابلة للقياس، وأفعال قابلة للتنفيذ، وآليات قابلة للتكرار.
يمثل التخطيط الجديد تحولا من "التخطيط المكاني" إلى توجيه "النظام المركب الاجتماعي - البيئي - التكنولوجي". إنه تحول جذري في إطار إدراك المشكلة. وضمن هذا الإطار لا يُنظر إلى الفضاء الإقليمي والحضري كموضوع واحد لتخصيص الفضاء، بل كنظام مركب شديد الترابط بين المجتمع والبيئة والتكنولوجيا.
وعليه يمكن فهم التخطيط الجديد بوصفه نموذج تخطيط حوكميا موجها بالقيمة العامة، ومتخذا من النظم المعقدة موضوعا له، ومن العملية التكيفية منطقا، ومن ذكاء البيانات والحوكمة المشتركة المتعددة الفاعلين دعما. فهو يؤكد أن مهمة التخطيط ليست الرسم والضبط فقط، بل تنظيم الفعل التعاوني، وتوزيع بنية الحقوق والمسؤوليات، وبناء آليات التشغيل، وتكوين التعلم المستمر.

2.2 خصائص التخطيط الجديد

تمثل خصائص التخطيط الجديد أساس تميزه عن التخطيط التقليدي، وتشمل ما يأتي.
(1) الحضارة البيئية. تُفهم المدينة بوصفها منشأ وموضع امتداد وموقعا تجريبيا ونموذجيا لحضارة بيئية رقمية ذكية جديدة، تكون أهدافها الجوهرية الحياد الكربوني، والتنوع الحيوي، ودوران الموارد، بحيث تقدم مثالا لحضارة إنسانية جديدة.
(2) مركزية الإنسان. يكون الناس مركز التخطيط، وتكون حياتهم الأفضل قيمة التخطيط الأساسية. ويصبح احترام إرادة الناس موجها لكل العملية، مع تركيز خاص على الفئات الضعيفة وضمان تقاسم عادل لنتائج التنمية الحضرية والريفية.
(3) المرافقة الرقمية الذكية. تستند المدينة إلى البيانات والأنظمة الذكية لدعم التشغيل الكفء، وتقليل الاستهلاك الاستخراجي لموارد الطبيعة والمجتمع، وتعزيز قدرة المدينة على الإدراك والحكم والاستجابة والتنظيم والتعلم.
(4) السلامة والمرونة. يبني التخطيط الجديد نظاما جديدا لتخطيط المرونة الحضرية قائما على التنبؤ بأنواع الكوارث الحضرية ومحاكاتها وضمان السلامة إزاءها. ويدخل في التخطيط تدابير السلامة قبل الحدث وأثناءه وبعده، ويصمم وينفذ نظاما دوريا لرصد السلامة الحضرية.
(5) الحوكمة بالمشاركة. يصبح التخطيط عملية تشاور وبناء مشترك، وترفع آليات المشاركة المؤسسية ديمقراطية القرار العام ومشروعيته.
(6) التنمية المستدامة. يتجاوز التخطيط الجديد المصالح القصيرة الأجل وقيود الدورات الزمنية، ويجعل الإنصاف بين الأجيال موجها لتطور حضري طويل الأجل، مستقر ومستدام.

2.3 الأفكار الجوهرية للتخطيط الجديد

تشير الأفكار الجوهرية للتخطيط الجديد إلى التوجهات القيمية والتفكير الاستراتيجي اللذين يحكمان إعداد التخطيط وتنفيذه في سياق إصلاح نظام التخطيط المكاني الإقليمي، وبناء الحضارة البيئية، ومتطلبات التنمية عالية الجودة.
تشرح هذه الدراسة هذه الأفكار من خلال "خمسة أنوية وخمس رؤى": رؤية العالم، ورؤية القيمة، ورؤية الهدف، ورؤية العملية، ورؤية التعلم.
(1) رؤية العالم: النظم التكيفية المعقدة وعمليات الحياة. ينتقل موضوع التخطيط من "فضاء ساكن" إلى "عملية حياة". فالتفاعل بين الناس، وتطور الصناعة، واستمرار الثقافة، والأيض البيئي، والتدخل التكنولوجي، كلها تشكل تشغيل المدينة.
(2) رؤية القيمة: من النموووية إلى القيمة التعاونية. تصبح الاستدامة البيئية، والإنصاف الاجتماعي، واستمرار الثقافة، والسلامة والمرونة، قيودا وأهدافا مشتركة، مع التأكيد على التوجيه القيمي بدلا من نهاية حجمية جامدة.
(3) رؤية الهدف: من الحجم النهائي إلى نتائج قيمية قابلة للقياس. يأخذ التخطيط التقليدي السكان النهائيين وحجم الأرض هدفا له، أما التخطيط الجديد فيضع نتائج قيمية قابلة للقياس، مثل تغطية دائرة الحياة في 15 دقيقة، ونمو المصارف الكربونية، ومؤشر الاندماج الاجتماعي، ويسمح بتعديل الأهداف ديناميا بناء على التغذية الراجعة للرصد. وهكذا يصبح الهدف بوصلة لا خط نهاية.
(4) رؤية العملية: من تسليم المخطط إلى حوكمة عملية تكيفية. ينتقل التخطيط من إعداد لمرة واحدة إلى صيانة مستمرة لضمان صحة تشغيل المدينة. وتتكون العملية من استشراف السيناريوهات، وبرامج العمل، والتجريب المتكرر، ودورة "التخطيط - الفعل - التقييم - التعديل" [16].
(5) رؤية التعلم: من المراجعة الدورية إلى مركز تعلم مؤسسي. يعتمد التخطيط التقليدي على مراجعة كل خمس إلى عشر سنوات، بينما يؤكد التخطيط الجديد إنشاء "مراكز تعلم تخطيطي" دائمة، وإدارة المعرفة، وبنود مراجعة قائمة على شروط التفعيل، جاعلا التعلم قدرة داخلية للنظام.

تتكون الأفكار الجوهرية للتخطيط الجديد من خمس طبقات متحدة المركز: طبقة مركزية هي رؤية العالم، وطبقة توجيه قيمي، وطبقة تحديد الأهداف، وطبقة آلية التنفيذ، وحلقة خارجية داعمة هي آلية التعلم. وتظهر هذه الطبقات بنية تجمع بين "دوائر متحدة المركز" و"حلقة تغذية راجعة".

2.4 المنظومة الدلالية للتخطيط الجديد

حول المفهوم المركزي لنموذج التخطيط الجديد، ترتب هذه الدراسة وتحدد عناصره الأساسية: الفكر الموجه، والتوجه القيمي، والأهداف والمهام، والمحتوى الجوهري، والبنية المؤسسية، ومنطق التشغيل. وتشكل هذه العناصر معا إطارا تكوينيا متكاملا للنموذج. وبعبارة موجزة، فإن المنظومة الدلالية للتخطيط الجديد هي تلخيص نسقي لماهية التخطيط الجديد، وما يتضمنه، وكيف يعمل. وستظل هذه المنظومة عملية دينامية قابلة للتحسين المستمر عبر الممارسات والبحوث اللاحقة.

3 منظومة المنهج: من "الرسوم والنصوص" إلى "بروتوكولات العمل وصناديق الأدوات المفتوحة"

بعد بناء الأساس الفلسفي والقيم الجوهرية والخصائص المفهومية للتخطيط الجديد، يبرز سؤال عملي أساسي: بأي منظومة منهجية يمكن تحويل هذه الرؤية والقيم الجديدة إلى أفعال قابلة للتشغيل والاختبار والتكرار؟ ليست منظومة التخطيط الجديد مجرد ترميم لصندوق الأدوات التقني التقليدي أو إضافة تدريجية إليه، بل هي إعادة بناء عميقة لسلسلة النتائج والإنتاج والتنفيذ والتغذية الراجعة الخاصة بالنظام المركب الاجتماعي - البيئي - التكنولوجي. ومهمتها الجوهرية هي بناء "نظام تشغيل حوكمي" قادر على التعامل مع التعقيد، وحمل القيم المتعددة، وامتلاك قدرة تكيفية، بحيث يتحول التخطيط من نشاط مهني ينتج "منتجا تقنيا"، أي الرسوم والنصوص، إلى عملية مؤسسية مستمرة تنظم "فعلا عاما".

3.1 إعادة بناء شكل المخرجات: من "المخطط النهائي" إلى إطار حوكمي لمخرجات متوازية

إن مخرجات نموذج التخطيط التقليدي هي في جوهرها "دليل تقني" و"وثيقة ترخيص إداري" لشكل مكاني مستقبلي، وصيغتها النهائية هي رسوم ومؤشرات قانونية. أما نموذج التخطيط الجديد فيتطلب أن تكون المخرجات نفسها "إطار حوكمة قابلا للتشغيل" يجمع بين الإلزامية والعملية والانفتاح. لذلك ينبغي أن تتطور المخرجات الأساسية إلى ثلاثة أنظمة متوازية ومتشابكة.

3.1.1 الخطوط الدنيا والقواعد: "جهاز المناعة" و"القانون الأساسي" للتشغيل الآمن والصحي للنظام

هذا هو القلب الصلب والقاعدة الثابتة لمخرجات التخطيط الجديد، ويشمل خطوط البقاء الدنيا، وقواعد التشغيل، وبنود التفعيل.

تشير خطوط البقاء الدنيا إلى حدود ضبط جامدة تُرسم على أساس الخلفية البيئية وتقييم أخطار الكوارث. ومن أمثلتها خطوط الحماية البيئية الحمراء، والمناطق ذات الأخطار الكارثية العالية جدا، وحدود القدرة الحاملة للموارد. إنها خطوط الحياة لاستمرار المدينة.

أما قواعد التشغيل فهي مجموعة من الحوافز الإيجابية والقوائم السلبية لاستعمال الفضاء وتطويره. وتشمل، مثلا، قواعد توافق استعمالات الأرض بحسب الموقع والسياق، وقواعد ربط شدة التطوير وشكله بالأداء، مثل استبدال قدرة امتصاص الكربون بنسبة مساحة طابقية، وقواعد توفير الفضاء العام والبنية التحتية وتسليمها. وينبغي أن تكون هذه القواعد قائمة على السيناريو وقابلة للتفسير، لا مؤشرات موحدة جامدة.

وبنود التفعيل هي آليات "شرط - استجابة" مدمجة في نص التخطيط. فعندما تظهر بيانات الرصد أن عتبات معينة قد بلغت، مثل تجاوز نسبة الشيخوخة في مجتمع محلي 30%، أو تفاقم شدة الجزيرة الحرارية المحلية ثلاث سنوات متتالية، أو الانخفاض الحاد في عمالة صناعة محددة، أو عندما تقع صدمة خارجية كبرى مثل صدور استراتيجية وطنية جديدة أو تطبيق تقنية تعطيلية، تُفعّل إجراءات التعديل التكيفي المعدة مسبقا، تلقائيا أو شبه تلقائيا، مثل بدء تقييم موضعي أو فتح صندوق أدوات سياساتي معين. وبذلك يتحول التخطيط من وثيقة ساكنة إلى مؤسسة تمتلك قدرة استجابة للضغط.

3.1.2 بروتوكولات العمل: "عقد اجتماعي" و"دليل إدارة مشاريع" لبناء التوافق وتخصيص الموارد

تمثل بروتوكولات العمل الجسر الرئيسي من الرؤية إلى الممارسة. فهي تحول الأهداف التخطيطية المجردة إلى التزامات محددة ذات جداول زمنية، وجهات مسؤولة، وضمانات موارد. وهي عقود دينامية قابلة للتتبع يشارك فيها الإدارات الحكومية، ومؤسسات السوق، والمنظمات الاجتماعية، وممثلو المجتمع المحلي. وتتكون من العناصر الآتية.

حزم العمل الاستراتيجية: تفكك الأهداف الكلية إلى عناقيد عمل عابرة للقطاعات، مثل حزمة التحول نحو الحياد الكربوني، وحزمة الجوار الصحي، وحزمة شبكة البنية التحتية المرنة. وتحتوي كل حزمة على مشروعات وسياسات ومبادرات مترابطة منطقيا.

مصفوفة المسؤوليات وخريطة الموارد: توضح الجهة القائدة، والجهات المتعاونة، والفاعلين المشاركين في كل فعل، وتقابلها بالميزانيات المالية، ورأس المال الاجتماعي، وموارد الأرض، والتفويض السياساتي. ويجب أن تكون العملية كلها شفافة ومفتوحة، لتكون أساسا للتنسيق والرقابة والمساءلة.

خارطة مسار التنفيذ: تحدد التسلسل المنطقي لأفعال التخطيط، والمعالم الرئيسية، والمخرجات المرحلية. وهي تقر بالاعتماد على المسار، لكنها تسمح بتعديل مرن ما دام الاتجاه العام ثابتا.

3.1.3 صناديق الأدوات المفتوحة: "بنية تحتية معرفية عامة" لتمكين الفاعلين المتعددين والتعلم المستمر

لكي تستوعب حوكمة التخطيط المعرفة الجديدة باستمرار، وتستجيب للمشكلات الجديدة، وتخفض عتبة مشاركة الجمهور والمهنيين، يجب أن يقدم التخطيط الجديد صندوق أدوات مفتوح المصدر، معياريا، وقابلا للتكرار [17]، ليصبح منصة معرفة حية تصان جماعيا.

تقدم قواميس البيانات ولوحات القيادة التفاعلية معايير وواجهات موثوقة وقابلة للقراءة الآلية للبيانات التخطيطية، وتطور منصات تصور بيانات تفاعلية لمستخدمين مختلفين، مثل صناع القرار والمجتمعات المحلية والمطورين، بما يجعل المعلومات المعقدة أسهل فهما.

وتجمع مكتبات النماذج وسيناريوهات البرمجة مختلف نماذج المحاكاة الحضرية، مثل تدفقات المرور، وانبعاثات الكربون، وهجرة السكان، ومحاكاة الفيضانات، مع نصوص المعاملات المرتبطة بها وتفتحها. ويمكن للمخططين والباحثين وحتى جماعات المواطنين تشغيلها واختبار استجابات المدينة في سيناريوهات سياسية مختلفة على منصة واحدة، فيتحول الاستدلال التخطيطي من "صندوق أسود" إلى "تجربة مفتوحة المصدر".

وتوفر قوالب التشاور والتشارك إجراءات عمل مجربة للمشاركة العامة، وأدوات مثل الرسم التشاركي، ومؤتمرات التوافق، وهيئات المواطنين، ومنصات رقمية للتشاور، مما يجعل حوكمة المشاركة معيارية وميسرة.

وتقدم مكتبات طرق الرصد والتقييم أنظمة مؤشرات أداء رئيسية قابلة للتخصيص، وطرق تقييم، ونماذج إنذار خوارزمية. ويمكن لمستخدمين مختلفين استدعاء هذه الأدوات للرصد والتقييم الذاتي.

تشكل هذه المخرجات الثلاثة معا "جسد" التخطيط الجديد: فالخطوط الدنيا والقواعد هي "الهيكل العظمي" الذي يضمن استقرار النظام؛ وبروتوكولات العمل هي "العضلات" التي تدفع النظام نحو أهدافه؛ وصندوق الأدوات المفتوح هو "الجهاز العصبي والحواس" الذي يضمن الإدراك والتنسيق والتعلم.

3.2 إعادة بناء أسلوب التنفيذ: من الدفع الهندسي إلى شبكة تنفيذ تكيفية

يشبه منطق التنفيذ في التخطيط التقليدي "مشروع بناء" يجري بحسب مخطط عام، على مراحل ومناطق وبأسلوب موحد. أما التخطيط الجديد فيواجه عضوا حيا ينمو ويتغير باستمرار، لذلك يجب أن يتحول منطق التنفيذ إلى تنمية شبكة تكيفية قادرة على التنظيم الذاتي، والتعلم من التجربة والخطأ، ونشر الابتكار.

3.2.1 التخطيط الفاعل: تنشيط القوى الاجتماعية الداخلية عبر التجديد الدقيق و"العمرانية التكتيكية"

يتخلى التخطيط الجديد عن التفكير في المشروعات الكبرى وحدها، ويدعو إلى تدخلات صغيرة منخفضة الكلفة وسريعة الإيقاع وقائمة على المكان. فمن خلال تحسينات سريعة وملموسة في "نهايات الأعصاب" الحضرية، مثل الشوارع، والقطع المهجورة، والواجهات المائية، كإنشاء حدائق جيبية، وتحويل الشوارع إلى بيئات مشاة، وحدائق مجتمعية، يمكن اختبار الأفكار بسرعة، وتراكم رأس المال الاجتماعي، وتحفيز اعتزاز المجتمع المحلي ورغبته في المشاركة. وهذه المشروعات الشبيهة بـ"الوخز الحضري" هي جزء من التنفيذ، وهي أيضا تجارب اجتماعية لجمع التغذية الراجعة وتكرار التصميم.

3.2.2 آلية مختبر السياسات: تجريب الابتكار المؤسسي في مناطق قابلة لضبط المخاطر

بالنسبة إلى مضامين التخطيط الابتكارية التي تنطوي على حقوق ملكية معقدة، أو تعديل للمصالح، أو حاجة إلى تجاوز بعض القواعد القائمة، مثل الاستعمال المركب للأرض، وتداول حقوق التطوير، والنماذج الجديدة لإحياء المباني التاريخية، يمكن تحديد مناطق خاصة كمناطق تجريب للابتكار السياساتي. وفي هذه المناطق يمكن، ضمن إطار صارم للرقابة والتقييم، تعديل بعض الأحكام القائمة أو تعليقها مؤقتا لإجراء تجارب مؤسسية. فإذا نجحت التجربة صيغت خبرتها في سياسات أو قواعد عامة وأدرجت في صندوق الأدوات المفتوح؛ وإذا فشلت بقي نطاق التأثير مضبوطا والكلفة محتملة. وبهذه الآلية يصبح تنفيذ التخطيط عملية تعلم مؤسسي.

3.2.3 نمط الحوكمة المنصية: الحكومة بوصفها مدمجا للنظام وحارسا للقواعد

يتحول دور الحكومة من قائد كلي القدرة إلى بانٍ للمنصة ومحفز للنظام البيئي. وتتمثل وظائفها الجوهرية في إقامة قواعد عادلة وشفافة، أي الخطوط الدنيا والقواعد المذكورة، وبناء منصة لمواءمة الموارد وتبادل المعلومات، واعتماد وتمكين فاعلين مؤهلين

للتنفيذ، مثل منظمات المجتمع المحلي، والمؤسسات الاجتماعية، والهيئات المهنية، ومراقبة العملية كلها وضمان المصلحة العامة. وعبر نشر قوائم الاحتياجات في بروتوكولات العمل تستطيع الحكومة جذب موارد وذكاء السوق والمجتمع ودمجهما، فتتكون بيئة تنفيذ تقوم فيها الحكومة ببناء المنصة ويشارك فيها الفاعلون المتعددون.

3.3 إعادة بناء الرصد والتقييم: من الفحص الدوري إلى التشخيص الآني والتعلم الاستباقي

غالبا ما يتأخر تقييم التخطيط التقليدي سنوات عن التنفيذ، ويركز في الغالب على ما إذا كان المشروع قد "بني بحسب الرسم"، لا على ما إذا كانت القيم المتوقعة قد تحققت. أما نظام الرصد والتقييم في التخطيط الجديد فهو الحلقة المغلقة الأساسية لتوجيه النظام التكيفي المعقد، ويجب أن يكون مدمجا، آنيا، تشخيصيا، واستباقيا.

3.3.1 بناء شبكة إدراك متعددة المصادر لعلامات الحياة الحضرية

يستخدم التخطيط الجديد بيانات غير متجانسة متعددة المصادر من حساسات إنترنت الأشياء، والاستشعار عن بعد، والاتصالات المتنقلة، ووسائل التواصل الاجتماعي، وبيانات الأعمال الحكومية، لبناء قدرة إدراك مستمرة لعلامات الحياة الحضرية الرئيسية، مثل الحيوية الاقتصادية، والتفاعل الاجتماعي، وجودة البيئة، وتشغيل المرور، وأيض الطاقة. وكأننا نثبت للمدينة جهاز تخطيط قلب وتخطيط دماغ يعملان باستمرار.

3.3.2 بناء لوحة تشخيص تربط "القيمة - المؤشر - البيانات"

تُحوَّل الأهداف القيمية الأساسية للتخطيط، مثل الاستدامة البيئية، والإنصاف الاجتماعي، والسلامة والمرونة، إلى منظومة متعددة المستويات من مؤشرات الأداء الرئيسية القابلة للقياس والمقارنة. وبوساطة تصور البيانات تُعرض الحالة الآنية أو شبه الآنية لهذه المؤشرات في لوحة قيادة تفاعلية يفهمها صناع القرار والمديرون والجمهور. ولا تستخدم اللوحة للعرض فقط، بل للتشخيص أيضا، إذ تتتبع جذور المشكلات النسقية من خلال تحليل العلاقات بين المؤشرات.

3.3.3 تطوير أنظمة إنذار مبكر ومحاكاة سيناريوهات قائمة على الخوارزميات

ينبغي أن يتجاوز الرصد وصف الحاضر. ويمكن استخدام التعلم الآلي ونماذج المحاكاة للإنذار بالمخاطر التي تنحرف عن المسار المتوقع، مثل تحديد عقد بنية تحتية توشك على الوصول إلى الحمل الزائد، أو مخاطر تقطع ممر بيئي. كما يجب أن يدعم النظام محاكاة متعددة السيناريوهات لخيارات سياسية مستقبلية مختلفة، فيقدم للقرار تحليلا استباقيا من نوع "إذا - فحينئذ"، وينقل تعديل التخطيط من إطفاء الحرائق بعد وقوعها إلى التدخل المبادر.

3.3.4 تكوين حلقة تعلم مؤسسية من "الرصد - التقييم - التعديل"

يجب ربط نتائج الرصد والتقييم ربطا صارما بآليات تعديل التخطيط الدينامية. فالتقارير الدورية، مثل التقرير السنوي، ينبغي أن تصبح أساسا قانونيا لفحص تنفيذ بروتوكولات العمل ومراجعة فاعلية الخطوط الدنيا والقواعد. أما إشارات الإنذار ونتائج محاكاة السيناريوهات فينبغي أن تفعّل مباشرة بنود التفعيل أو تبدأ إجراءات مراجعة سريعة. وهكذا يصبح نظام التخطيط الجديد كله "فاعلا ذكيا" يتعلم باستمرار من نتائج تشغيله.

وخلاصة القول إن منظومة منهج التخطيط الجديد، عبر إعادة بناء متزامنة للمخرجات، وأسلوب التنفيذ، والرصد والتقييم، تهدف إلى بناء نظام تشغيل للحوكمة المكانية الإقليمية يكون قابلا للبرمجة والتشغيل والتصحيح. وبذلك يتحول التخطيط من وثيقة تنبؤية هشة عن المستقبل إلى عملية حوكمة تكيفية صلبة تنطلق من الحاضر لتشكيل المستقبل. وهذا التحول المنهجي هو التمرين الداخلي الذي لا بد أن ينجزه تخصص التخطيط في انتقاله من "مصمم للشكل المكاني" إلى "مهندس لحوكمة النظم".

4 مسارات الممارسة: إطار التفعيل في الحوكمة المكانية متعددة المقاييس

يجب أن تُختبر صدقية نموذج التخطيط الجديد في النهاية بفاعلية الممارسة. فلا يكفي أن يبقى تأملا نظريا أو صورة مثالية، بل لا بد أن يجد مسارات قابلة للاندماج والنمو والتكرار داخل الواقع القائم لنظام التخطيط المكاني الإقليمي ذي "المستويات الخمسة والفئات الثلاث". ولا يعني طرح التخطيط الجديد إسقاط النظام القائم، بل يعني استبطانا عميقا للنموذج وترقية مؤسسية. فعند مقاييس الحوكمة المكانية المختلفة، يعاد ضبط دور التخطيط وأدواته ومخرجاته، ويتكون إطار تنفيذ مترابط من التنسيق الاستراتيجي الكلي إلى حوكمة الحياة اليومية الدقيقة. ويتمثل الجوهر في ترجمة الأفكار الأساسية للتخطيط الجديد، أي رؤية النظم المعقدة، والعملية التكيفية، والحوكمة المشتركة، وذكاء البيانات، إلى منطق أفعال محدد، قابل للتشغيل والتقييم على كل مقياس.

4.1 المستوى الوطني والإقليمي: من "رقعة ضبط مكاني" إلى "منصة تنسيق نظامية"

على المستوى الوطني والإقليمي، يتمثل القصور الذهني للتخطيط التقليدي في رسم "رقعة ضبط مكاني" يقينية، وتفكيك مؤشرات جامدة طبقة بعد طبقة لضبط موارد الأرض وتخصيصها. أما التخطيط الجديد فيرى أن المهمة الأساسية للتخطيط الكلي هي صياغة قواعد، وتحديد أهداف، وبناء منصات للتفاعل المعقد والتطور التعاوني للنظام الحضري الوطني أو الإقليمي.

4.1.1 تحول المهمة الأساسية: من تخصيص المؤشرات المكانية إلى تحديد قواعد التعاون ومراسي القيمة

ينبغي أن يكون الناتج الأول للتخطيط الجديد على المستوى الوطني والإقليمي مجموعة واضحة من القواعد الفوقية وأهداف القيمة التعاونية.

صياغة القواعد الفوقية تعني إقرار قواعد أساسية تتجاوز الحدود الإدارية وتضمن صحة النظام. ومن أمثلتها قواعد التعويض البيئي وربط جودة المياه عبر الأحواض، وقواعد تداول حقوق الانبعاثات الكربونية والتعاون في مصارف الكربون داخل التجمعات الحضرية، وقواعد البناء المشترك والتقاسم وتحمل المخاطر للممرات الكبرى للبنية التحتية، مثل النقل والطاقة والبيانات، ومعايير الحد الأدنى الإقليمية لإتاحة الخدمات العامة الأساسية، كالتعليم والصحة، وقواعد التحويلات المالية. وتحدد هذه القواعد "قواعد اللعبة" التي يجب أن تلتزم بها الخطط الأدنى، لكنها لا تحدد طريقة اللعب التفصيلية.

أما تحديد أهداف القيمة التعاونية فيقترح مؤشرات رئيسية قابلة للقياس والتقييم لـ"القيمة العامة الإقليمية"، بدلا من هدف اقتصادي واحد أو حجم أرض بناء واحد. ومن الأمثلة: نسبة النمو السنوي لصافي مساحة الأراضي الرطبة في منطقة العرض المتكامل للتنمية البيئية الخضراء في دلتا اليانغتسي، وهدف خفض متوسط زمن التنقل بين مدن منطقة الخليج الكبرى قوانغدونغ - هونغ كونغ - ماكاو، ومؤشر تدفق عناصر الابتكار بين المدن المركزية في دائرة تشنغدو - تشونغتشينغ الاقتصادية. يركز ذلك على "العلاقات" و"التدفقات" لا على "الكيانات" و"الأرصدة"، موجها المناطق إلى خلق قيمة كلية عبر التعاون.

4.1.2 ترقية الأدوات الأساسية: من الموافقة والتفتيش إلى الرصد والمحاكاة والتمكين المنصي

ينبغي أن ترتقي الأدوات الأساسية للتخطيط في هذا المقياس من التحكم الإداري إلى إدراك النظام، وتنسيق النزاعات، وتمكين القدرة التعاونية.

محاكي النظام الحضري على المستوى الوطني: يستخدم الحوسبة الفائقة والذكاء الاصطناعي لبناء نماذج كلية تستطيع محاكاة تطور الشبكة الحضرية الوطنية، وتدفقات السكان، وانتقال الصناعات، وضغوط الموارد والبيئة تحت سيناريوهات سياسات مختلفة. وبذلك يوفر اختبارات ضغط سياساتي للقرارات الاستراتيجية الكبرى، مثل اختيار مواقع المناطق الوطنية الجديدة أو مسارات خطوط النقل الكبرى، ويتنبأ بالمخاطر النسقية.

منصة التوأم الرقمي للتعاون الإقليمي: تبني منصة تخطيط تعاوني عابرة للمقاطعات والمدن، وتحقق تقاسم بيانات الخلفية البيئية، والبنية التحتية، والتوزيع الصناعي، والكشف الذكي عن النزاعات. كما تقدم أدوات للتخطيط التعاوني وتدعم إعداد خطط المناطق العابرة للحدود بصورة مشتركة عبر الإنترنت.

التمكين المتمايز وصندوق أدوات السياسات: يحدد المشكلات النسقية الجوهرية التي تواجهها مناطق مختلفة، مثل المدن المنكمشة، والمناطق سريعة النمو، والمناطق الهشة بيئيا، ويقدم لها صناديق أدوات سياسية ودعما تقنيا مصمما خصيصا، بدلا من إصدار مؤشرات حجم موحدة.

4.2 مستوى المدينة: من المخطط العام الساكن إلى عملية دينامية متكاملة من "الاستراتيجية - الفعل - التشغيل"

يمثل مقياس المدينة حلقة وصل رئيسية بين الأعلى والأدنى، وهو أيضا المجال الذي يترسخ فيه نموذج المخطط النهائي التقليدي. ويتمثل اختراق التخطيط الجديد في هذا المقياس في تفكيك المخطط العام الساكن وإعادة بنائه بوصفه "نظام تشغيل استراتيجي حضري" يعمل باستمرار.

4.2.1 إعادة بناء شكل المخرجات: استراتيجية التنمية الحضرية والدليل العام للعمل

ينبغي أن تتكون مخرجات التخطيط الجديد على مستوى المدينة من ثلاثة أجزاء مترابطة عضويا.

الإطار الاستراتيجي: يوضح موقع قيمة المدينة داخل الإقليم، وفكرها التنموي الأساسي، والقيمة العامة الطويلة الأجل التي تسعى إليها، بما يبني التوافق.

برنامج العمل: يحول الاستراتيجية إلى حزم عمل قابلة للتكرار في دورة من ثلاث إلى خمس سنوات. ويجب أن تحدد كل حزمة، مثل حزمة التطوير المتكامل حول النقل السككي، الجهة القائدة والجهات المتعاونة، وقائمة المشروعات الأساسية، وخطة تعبئة الموارد، ومؤشرات الأداء الرئيسية، وطرق التقييم.

آلية التشغيل: تؤسس آليات دائمة لضمان تنفيذ الأفعال. ومن ذلك اجتماع مشترك دائم للتخطيط والتنفيذ الحضري بقيادة مسؤولي المدينة، ومكتب دائم للمشاركة العامة ومنصة رقمية، وآلية تعديل دينامية للميزانية المالية مرتبطة بحزم العمل، ونظام تقرير سنوي لتقييم التنمية الحضرية تعده جهة ثالثة. وترفع نتائجه مباشرة إلى مجلس نواب الشعب وتستخدم أساسا لتعديل أفعال السنة التالية.

4.2.2 ابتكار نمط التنفيذ: استبدال اندفاعة البناء الحضري بالتشغيل الحضري الدقيق

يغير التخطيط الجديد نمط الاندفاع في البناء الحضري المحكوم بالدورات الإدارية، ونقل الأراضي، والمشروعات الكبرى، ويتجه إلى تشغيل دقيق يهدف إلى رفع القيمة طويلة الأجل.

نظام "المخطط العام للمدينة" بوصفه أيضا "رئيسا للتشغيل": لا يقتصر دوره على إعداد التخطيط، بل يشارك بعمق في التخطيط الأولي للمشروعات الكبرى، وتنسيق العملية، والتقييم اللاحق، لضمان عدم تشوه نية التخطيط أثناء التنفيذ، ولتحمل المسؤولية عن الأداء الشامل الطويل الأجل للفضاء الحضري.

نمط "التخطيط - الاستثمار - البناء - التشغيل" المتكامل: في المناطق المهمة أو مشروعات التجديد الكبرى، يُدخل منذ مرحلة التخطيط الفاعل التشغيلي المحتمل مستقبلا، ويتم التخطيط معه، وتُعاد حاجات التشغيل إلى التصميم والتخطيط بصورة مسبقة.

إنشاء "سجل أصول الفضاء الحضري" وتدقيق الأداء: تُعامل مرافق الخدمات العامة، والحدائق والمساحات الخضراء، وفضاءات الشوارع، كأصول تحتاج إلى صيانة مستمرة وتنتج منافع اجتماعية واقتصادية وبيئية. ويُدقق أداؤها التشغيلي دوريا، ويستخدم ذلك أساسا لتحسين تخصيص الموارد والتجديد.

4.3 مستوى المجتمع المحلي والكتلة الحضرية: من "فضاء مصمم" إلى "عالم حياة" مشترك الصنع

المجتمعات المحلية والكتل الحضرية هي خلايا الحياة الحضرية، وهي "عالم الحياة" في تجربة السكان اليومية. غالبا ما يكون صوت التخطيط التقليدي ضعيفا في هذا المقياس، أو يظهر فقط في مؤشرات جامدة للمرافق وتصميم مكاني بسيط. والسؤال الجوهري للتخطيط الجديد هنا هو: كيف يتحول التخطيط المكاني إلى عملية حوكمة تعزز الروابط الاجتماعية، وتنشط الحيوية المحلية، وتحقق السعادة اليومية؟

4.3.1 تحول موضوع التخطيط: من الفضاء المادي إلى نظام اجتماعي - مكاني متشابك

المهمة الأولى للتخطيط على مستوى المجتمع المحلي هي فهم ورسم "خريطة اجتماعية - مكانية" للمجتمع بعمق، تشمل بنية السكان، وشبكات الجماعات، والتجار المحليين، ونقاط الذاكرة الثقافية، ومسارات النشاط اليومي، وصراعات استعمال الفضاء العام والروابط المحتملة. وينبغي أن يقوم التخطيط على إدراك هذه العلاقات الحية، لينفذ تدخلا مكانيا وتصميما مؤسسيا دقيقين.

4.3.2 ابتكار المنهج والعملية: التصميم التشاركي العميق والبناء بالمرافقة

نظام المخطط المجتمعي المقيم: يتموضع فريق التخطيط داخل المجتمع بصفته "مرافقا" و"مُمكنا"، ويعمل مع السكان والتجار والمنظمات الاجتماعية لتحويل الحاجات إلى خطط تصميم وبرامج عمل قابلة للتنفيذ.

القرار المفتوح وصناديق المجتمع: بالنسبة إلى التجديد الدقيق للفضاءات العامة وتحسين البيئة، تُناقش الخطط عبر مجالس السكان وورش العمل. ويمكن إنشاء صندوق صغير للمصلحة العامة أو ميزانية تشاركية يقرر السكان استخدام جزء منها، وينفذون بأنفسهم بعض المشروعات الصغيرة بمساعدة المهنيين، مما يعزز الفاعلية والشعور بالانتماء.

إرشادات تصميم على هيئة صندوق أدوات: تقدم أدوات مجتمعية معيارية، اختيارية، وسهلة الفهم، مثل دليل بناء حديقة الحي، ونموذج اتفاقية إدارة المرافق المشتركة. وهي تخفض العتبة التقنية للمشاركة وتشجع الإبداع المحلي المتنوع.

4.3.3 إعادة تشكيل توجه الهدف: نمو رأس المال الاجتماعي و"المرونة المحلية" كأداء جوهري

ينبغي أن يُقيّم التخطيط الجديد على مستوى المجتمع المحلي بقدرته على تعزيز رأس المال الاجتماعي، أي الثقة، وقواعد المعاملة بالمثل، والشبكات، وعلى تقوية المرونة المحلية، أي القدرة الجماعية على مواجهة التحديات اليومية والمفاجئة. وهذا يعني أن التخطيط يجب أن يهتم بالاستخدام والصيانة والإدارة طويلة الأجل بعد التحول المكاني، وأن يدعم نمو التنظيم الذاتي للمجتمع، حتى يبقى الفضاء حيويا وصحيا عبر أنشطة جماعية مستمرة.

إجمالا، فإن إطار تفعيل التخطيط الجديد هو نظام تكيفي متداخل المقاييس يتضمن تغذية راجعة صاعدة وهابطة. يقدم المستوى الوطني والإقليمي القواعد والتوجيه القيمي؛ ويحول مستوى المدينة التخطيط إلى أفعال استراتيجية وآليات تشغيل؛ أما مستوى المجتمع المحلي فيجري تجارب الحياة والابتكار الدقيق في الجبهة الأمامية. ويمكن للتغذية الراجعة والبيانات الحقيقية من المجتمع أن تؤثر صعودا في تعديل قواعد المدينة بل والإقليم. وفي هذا الإطار لا يعود التخطيط نقلا هرميا صارما للأوامر، بل يصبح "جماعة حوكمة" تتعلم وتتطور معا، وتتحمل حقا الرسالة التاريخية لتوجيه فضاء المدينة والإقليم، بوصفه نظاما مركبا اجتماعيا - بيئيا - تكنولوجيا، نحو الصحة والازدهار مدى الحياة.

5 الخاتمة والمناقشة

5.1 التحديات الرئيسية والمبادئ الأساسية لتحول التخطيط الجديد

ليس التخطيط الجديد نموذجا مثاليا قليل الكلفة وخاليا من المخاطر. فتنفيذه يواجه على الأقل أربعة أنواع من التحديات الواقعية: القصور المؤسسي والاعتماد على المسار، ومخاطر البيانات وأخلاقيات الخوارزميات، وإعادة تشكيل بنية قدرات التخطيط، والموازنة القيمية في ظل تعارض الأهداف المتعددة [16].

لذلك تقترح هذه الدراسة ثلاثة مبادئ أساسية يجب التمسك بها في تحول التخطيط الجديد.

مبدأ خط القيمة الأدنى: يجعل رفاه الناس، والأمن البيئي، والإنصاف الاجتماعي، أولى التوجهات القيمية للتخطيط.

مبدأ خط المسؤولية الأدنى: يضمن، عبر بنية واضحة للحقوق والمسؤوليات وآليات قابلة للتدقيق، إمكانية تتبع المسؤولية العامة في عملية التخطيط ونتائجها.

مبدأ خط التكيف الأدنى: يعترف بعدم اليقين، ويدمج التعلم والتصحيح والتكرار بوصفها وظائف عادية داخل نظام التخطيط.

5.2 المنظومة الدلالية والمساهمة الجوهرية لتحول التخطيط الجديد

لا يستجيب التخطيط الجديد لمشكلة تخطيطية مفردة، بل لحاجة كلية إلى تحول نموذجي في التخطيط الحضري في عصر شديد اللايقين. فهو يدفع التخطيط من أداة تقنية لضبط الفضاء إلى آلية حوكمة عامة توجه تطور النظام المركب الاجتماعي - البيئي - التكنولوجي؛ ومن السعي إلى مخطط نهائي إلى عملية تكيفية موجهة بأهداف قيمية دينامية؛ ومن قيادة الخبراء وحدهم إلى حوكمة مشتركة معززة بذكاء البيانات؛ ومن المراجعة الدورية إلى التعلم المؤسسي والتكرار المستمر.

وتتمثل المساهمة الجوهرية للتخطيط الجديد في أنه يوفر إطارا نموذجيا قابلا للتفسير والتشغيل والتكرار لحوكمة المدينة والفضاء الإقليمي في الصين. فهو يجعل التخطيط لا "يرسم" فقط، بل "يشغل" و"يصحح" و"يتعلم"، بما يعزز مرونة النظام الحضري وقدرته على الازدهار الطويل الأجل في ظل عدم اليقين.

5.3 آفاق البحث

نظمت مجلة Urban Planning Forum في السنوات الأخيرة حوارات أكاديمية متعددة حول هذا الموضوع، أسهم فيها عدد كبير من الباحثين بأفكارهم وآرائهم [19-26]. ومنذ عام 2021 ينشر الأكاديمي وو تشي تشيانغ سنويا عشر كلمات مفتاحية لتطور التخصص في منتدى تطور تخصص التخطيط الحضري الصيني [27-28]. وفي الوقت نفسه، فإن المتابعة الآنية لاتجاهات البحث الدولية والمحلية ولممارسات التخطيط الابتكارية في أنحاء الصين تهدف إلى التركيز على الواقع الصيني وعلى الجبهة النظرية، وإثارة صدى مشترك داخل مجتمع التخطيط الصيني، ودفع الابتكار في تخصص التخطيط الحضري والريفي، بحيث يحقق نموذج التخطيط الجديد تحولا جديدا في العصر الجديد.

إن العمل العابر للحدود، والابتكار، وبناء نموذج جديد، أكثر قدرة على ضمان حيوية تخصص التخطيط من البقاء داخل النموذج التقليدي. وهو كذلك الطريق الضروري للحفاظ على القدرة التنافسية الجوهرية للتخطيط على المدى الطويل. لقد طُرح نموذج التخطيط الجديد في هذه الدراسة في سياق ينتشر فيه عدم اليقين والقلق في الأوساط الأكاديمية والمهنية. وبالنظر إلى التحولات الكبرى وتغيرات النماذج في التاريخ، نجد أن هذه اللايقينات والقلق نفسها هي التي أنجبت القمة التالية للتخطيط.

المراجع

[1] Wu Zhiqiang, Yu Hong. اتجاهات تطور تخصص التخطيط الحضري في الصين[J]. Urban Planning Forum, 2005(6): 2-10.

[2] Wu Zhiqiang, Zhou Jian, Peng Zhenwei, et al. الاستكشاف والابتكار في مئة عام من تعليم التخطيط في جامعة تونغجي[J]. Urban Planning Forum, 2022(4): 21-27.

[3] Zhang Tingwei. التخطيط الحضري في الصين: إعادة هيكلة؟ إعادة بناء؟ إصلاح؟[J]. Urban Planning Forum, 2019(3): 20-23.

[4] Sun Shiwen. بحث في اتجاهات التطور المستقبلية لتخصص التخطيط الحضري والريفي في الصين[J]. City Planning Review, 2021(2): 23-35.

[5] Shi Nan. التطور الدلالي للتخطيط الحضري الصيني ورسالته المعاصرة[J]. Urban Planning Forum, 2024(5): 18-28.

[6] Sun Shiwen. تأملات في منظومة المعرفة لتخصص التخطيط الحضري والريفي2024 .Urban Planning Forum, [J](5): 29-33.
[7] Zhang Shangwu. قضايا إصلاح التخطيط المكاني وآفاقه: تأملات في إعداد الخطط وتطور التخصص[J]. Urban Planning Forum, 2019(4): 24-30.
[8] Haghani M. مشهد علم التخطيط الحضري وتطوره2023 .Cities, [J], 135: 104216.
[9] Duan Jin, Yang Jianqiang, Chen Xiaodong, et al. تأملات في إعداد برامج تكوين البكالوريوس في التخطيط الحضري والريفي: تطور جامعة جنوب شرق الصين واستكشافها2025 .City Planning Review, [J], 49(3): 52-60.
[10] Wang Kai. الممارسة أساسا: فتح مسار متجدد لتحول تعليم التخطيط الحضري والريفي[J]. City Planning Review, 2025, 49(8): 11-19.
[11] Hu L. بحوث وممارسات التخطيط الحضري في الصين2020 .Journal of Planning Literature, [J], 35(3): 335-352.
[12] Parysek J. المدينة كنظام: مقاربة نظم للتخطيط والتنمية الحضريين[J]. Bulletin of Geography. Socio-economic Series, 2025(67): 7-22.
[13] Yang Tianren, Wu Zhiqiang, Pan Qisheng, et al. محاكاة التنمية الحضرية والتنبؤ بها: تقدم البحث، وتحديات التطور، وآفاق المستقبل2021 .Urban Planning International, [J], 36(4): 1-12.
[14] Zhen Feng, Kong Yu, Wu Zhifeng, et al. البحث الحضري وتصميم التخطيط بتمكين الذكاء الاصطناعي[J]. City Planning Review, 2025, 49(10): 54-62.
[15] Gan Wei, Wu Zhiqiang, Wang Yuankai, et al. بناء نموذج نظري للتصميم الحضري بمساعدة المحتوى المولد بالذكاء الاصطناعي2023 .Urban Planning Forum, [J](6): 45-53.
[16] Allan P, Plant R. الاختراق: ملاحظات ميدانية للتخطيط الحضري التكيفي في أزمنة عدم اليقين[J]. Planning Practice & Research, 2022, 37(3): 245-262.
[17] Niu Xinyi, Liu Sihan, Sang Tian, et al. التعلم المهني للنماذج الكبيرة: بناء نموذج لتوليد الصور يدمج معرفة تصميم الشكل المكاني الحضري2025 .Urban Planning Forum, [J](1): 55-63.
[18] Bixler R P. إعادة صياغة الحوكمة الحضرية من أجل تنفيذ المرونة2020 .Cities, [J], 102: 102710.
[19] Wu Zhiqiang, Guo Renzhong, Zhang Bing, et al. حوار أكاديمي حول "البناء المنهجي لنظام التخطيط المكاني الوطني"2024 .Urban Planning Forum, [J](5): 1-11.
[20] Wu Zhiqiang, Zhang Yue, Chen Tian, et al. حوار أكاديمي حول "نحو المستقبل: الابتكار في تخصص التخطيط وتعليمه"2022 .Urban Planning Forum, [J](5): 1-16.
[21] Zhang Bing, Men Xiaoying, Ye Bin, et al. حوار أكاديمي حول "تنفيذ مؤتمر العمل الحضري المركزي: استكشاف ممارسات التخطيط الجديد"2025 .Urban Planning Forum, [J](5): 1-13.
[22] Wang Jianguo, Zhou Jian, Tian Li, et al. حوار أكاديمي حول "الممارسة الابتكارية والاختراقات الرئيسية في التجديد الحضري"2025 .Urban Planning Forum, [J](2): 1-12.
[23] Zhao Min, Zhao Yanjing, Liu Zhi, et al. حوار أكاديمي حول "التجديد الحضري مع استدامة المالية العامة الحضرية"[J]. Urban Planning Forum, 2024(3): 1-9.
[24] Sun Yimin, Sima Xiao, Deng Dong, et al. حوار أكاديمي حول "تصميم مدينة الشعب: ممارسة ابتكارية وتأملات"[J]. Urban Planning Forum, 2023(3): 1-11.
[25] Zhang Shangwu, Sima Xiao, Shi Xiaodong, et al. حوار أكاديمي حول "استكشاف إعداد التخطيط التفصيلي للفضاء الإقليمي وممارسته الابتكارية"2023 .Urban Planning Forum, [J](2): 1-11.
[26] Duan Jin, Zhang Tingwei, Yin Zhi, et al. حوار أكاديمي حول "التحديث الحضري والريفي على النمط الصيني: الدلالات والخصائص ومسارات التطور"2023 .Urban Planning Forum, [J](1): 1-10.
[27] Wu Zhiqiang. الكلمات العشر المفتاحية لتخصص التخطيط الحضري والريفي (2024-2023)[J]. Urban Planning Forum, 2023(6): 1-4.

[28] Wu Zhiqiang, Yan Juan, Xu Haowen, et al. الكلمات العشر السنوية لتطور تخصص التخطيط الحضري والريفي (2024-2025)[J]. Urban Planning Forum, 2024(6): 8-11.

الترجمة بمساعدة منظمة العفو الدولية